سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٨٢)

ما ورد في تفسير الطبري عن

الغفلة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٢هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

الكتاب: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن

المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة

الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس

١-"حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثني بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس: " ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] قال: إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها " -[١٦١]- فإن قال قائل: وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته؟ أو جائز وقد أمرهم بطاعته أن لا يعينهم عليها؟ أم هل يقول قائل لربه: إياك نستعين على طاعتك، إلا وهو على قوله ذلك معان، وذلك هو الطاعة، فما وجه مسألة العبد ربه ما قد أعطاه إياه؟ قيل: إن تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه؛ وإنما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه، داع أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته، دون ما قد تقضى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره. وجازت مسألة العبد ربه ذلك لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لأداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه، فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه، ولطف منه لطف له فيه؛ وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق مع اشتغال عبده بمعصيته وانصرافه عن محبته، ولا في بسطه فضله على بعضهم مع إجهاد العبد نفسه في محبته ومسارعته إلى طاعته، فساد في تدبير ولا جور في حكم، فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله، وأمره عبده بمسألته عونه على طاعته. وفي أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة أدل الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر، الذين أحلوا أن يأمر الله أحدا من -[١٦٢]- عباده بأمر أو يكلفه فرض عمل إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه. ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا؛ لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته، إذ كان على قولهم مع وجود الأمر والنهي والتكليف حقا واجبا على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه، سأله عبده ذلك أو ترك مسألة ذلك؛ بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جور. ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا، لكان القائل: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] إنما يسأل ربه أن لا يجور. وفي إجماع أهل الإسلام جميعا على تصويب قول القائل: اللهم إنا نستعينك؛ وتخطئتهم قول القائل: اللهم لا تجر علينا، دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم، إن كان تأويل قول القائل عندهم: اللهم إنا نستعينك، اللهم لا تترك معونتنا التي تركها جور منك. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] فقدم الخبر عن العبادة، وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة، فمسألة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها. قيل: لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه، -[١٦٣]- وكان محالا أن يكون العبد عابدا إلا وهو على العبادة معان، وأن يكون معانا عليها إلا وهو لها فاعل؛ كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه، كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها: قضيت حاجتي فأحسنت إلي، فقدمت ذكر قضائه حاجتك. أو قلت: أحسنت إلي فقضيت حاجتي، فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة؛ لأنه لا يكون قاضيا حاجتك إلا وهو إليك محسن، ولا محسنا إليك إلا وهو لحاجتك قاض. فكذلك سواء قول القائل: اللهم إنا إياك نعبد فأعنا على عبادتك، وقوله: اللهم أعنا على عبادتك فإنا

إياك نعبد. قال أبو جعفر: وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، كما قال امرؤ القيس:

[البحر الطويل]

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

يريد بذلك: كفاني قليل من المال ولم أطلب كثيرا. وذلك من معنى التقديم والتأخير، ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل؛ من أجل أنه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير، فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير. فيكون نظير العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها، وبوجود المعونة عليها وجودها، ويكون ذكر أحدهما دالا على الآخر، فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعا في درجته ومرتبا في مرتبته. فإن قال: فما وجه تكراره: ﴿إياك﴾ [الفاتحة: ٥] مع قوله: ﴿نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] وقد تقدم ذلك قبل نعبد؟ وهلا قيل: إياك نعبد ونستعين، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان؟ -[١٦٤]- قيل له: إن الكاف التي مع إيا، هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل، أعني بقوله: ﴿نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] لو كانت مؤخرة بعد الفعل. وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل، فكثرت بإيا متقدمة، إذ كان الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد، فلما كانت الكاف من إياك هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافا وحدها متصلة بالفعل إذا كانت بعد الفعل، ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به، فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك؛ وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد؛ كان كذلك إذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بإيا، كان الأفصح إعادتها مع كل فعل. كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل، إذا كانت بعد الفعل متصلة به، وإن كان ترك إعادتها جائزا. وقد ظن بعض من لم يمعن النظر أن إعادة إياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] بمعنى قول عدي بن زيد العبادي:

[البحر البسيط]

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا

-[١٦٥]- وكقول أعشى همدان:

[البحر الكامل]

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخ بخ لوالده وللمولود

وذلك جهل من قائله؛ من أجل أن حظ إياك أن تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا آنفا من العلة، وليس ذلك حكم بين لأنها لا تكون إذا اقتضت اثنين إلا تكريرا إذا أعيدت، إذ كانت لا تنفرد بالواحد. وأنها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل؛ وذلك أن قائلا لو قال: الشمس قد فصلت بين النهار، لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه بين. ولو قال قائل:

اللهم إياك نعبد لكان ذلك كلاما تاما. فكان معلوما بذلك أن حاجة كل كلمة كانت نظيرة ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] إلى إياك كحاجة نعبد إليها، وأن الصواب أن تكرر معها إياك، إذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ، وبينا حكم مخالفة ذلك حكم بين فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله". (١)

٢-"ونصب الهاء، غير أنه كان يرفعه بالياء التي يحدثها في أول تشابه التي تأتي بمعنى الاستقبال، وتدغم التاء في الشين كما فعله القارئ في تشابه بالتاء والتشديد. والصواب في ذلك من القراءة عندنا: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ [البقرة: ٧٠] بتخفيف شين تشابه ونصب هائه، بمعنى تفاعل. لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك ورفعهم ما سواه من القراءات، ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ". (٢)

٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة: ٧٤]-[١٣٩]- يعني بقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة: ٧٤] وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود، عما تعملون من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة؛ ولكنه يحصيها عليكم، فيجازيكم بها في الآخرة أو يعاقبكم بها في الدنيا. وأصل الغفلة عن الشيء: تركه على وجه السهو عنه والنسيان له، فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة ولا ساه عنها، بل هو لها محص، ولها حافظ". (٣)

٤-"فيه، كما هدى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه بغيا بينهم، فسددهم لإصابة الحق، والصواب فيه. وفي هذه الآية البيان الواضح على صحة ما قاله أهل الحق من أن كل نعمة على العباد في دينهم أو دنياهم، فمن الله عز وجل. فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] أهداهم للحق أم هداهم للاختلاف؟ فإن كان هداهم للاختلاف فإنما " أضلهم، وإن كان هداهم للحق فيكف قيل: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] ؟ قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما معنى ذلك: فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه، فكفر بتبديله بعضهم، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم، وهم أهل التوراة الذين بدلوها، فهدى الله للحق مما بدلوا وحرفوا الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال أبو جعفر: فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة، فقال وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و «من» إنما هي في كتاب الله في

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١/١٦٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢/١٠٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢/١٣٨

«الحق» واللام في قوله: ﴿لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] وأنت تحول اللام في «الحق» ، و «من» في الاختلاف في التأويل الذي تتأوله فتجعله مقلوبا؟ قيل: ذلك في كلام العرب موجود مستفيض، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم، فمن ذلك قول الشاعر:
[البحر الكامل]". (١)

٥-"كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ﴿فإن أرادا فصالا عن تراض، منهما وتشاور﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال: غير مسيئين في ظلم أنفسهما ولا إلى صبيهما ﴿فلا جناح عليهما﴾ [البقرة: ٢٢٩] " حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله وأولى التأويلين بالصواب، تأويل من قال: فإن أرادا فصالا في الحولين عن تراض منهما وتشاور، لأن تمام الحولين غاية لتمام الرضاع وانقضائه، ولا تشاور بعد انقضائه؛ وإنما التشاور والتراضي قبل انقضاء نهايته، فإن ظن ذو غفلة أن للتشاور بعد انقضاء الحولين معنى صحيحا، إذ كان من الصبيان من تكون به علة يحتاج من أجلها إلى تركه، والاغتذاء بلبن أمه، فإن ذلك -[٢٤٠]- إذا كان كذلك، فإنما هو علاج كالعلاج بشرب بعض الأدوية لا رضاع، فأما الرضاع الذي يكون في الفصال منه قبل انقضاء آخره تراض وتشاور من والدي الطفل الذي أسقط الله تعالى ذكره لفطمهما إياه الجناح عنهما قبل انقضاء آخر مدته، فإنما الحد الذي حده الله تعالى ذكره بقوله: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣] على ما قد أتينا على البيان عنه فيما مضى قبل، وأما الجناح: فالحرج". (٢)

٦-"حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، -[٤٦٦]- في قوله: " ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ [البقرة: ٢٤٨] الآية، قال: كان موسى فيما ذكر لنا ترك التابوت عند فتاه يوشع بن نون وهو في البرية، فذكر لنا أن الملائكة حملته من البرية حتى وضعته في دار طالوت، فأصبح التابوت في داره " وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما قاله ابن عباس ووهب بن منبه من أن التابوت كان عند عدو لبني إسرائيل كان سلبهموه، وذلك أن الله تعالى ذكره قال مخبرا عن نبيه في ذلك الزمان قوله لقومه من بني إسرائيل: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ [البقرة: ٢٤٨] والألف واللام لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء إلا في معروف عند المتخاطبين به، وقد عرفه المخبر والمخبر. فقد علم بذلك أن معنى الكلام: أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينة من ربكم. ولو كان ذلك تابوتا من التوابيت غير معلوم عندهم قدره ومبلغ نفعه قبل ذلك لقيل: إن آية ملكه أن يأتيكم تابوت فيه سكينة من ربكم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٦٣٤/٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٣٩/٤

" فإن ظن ذو غفلة أنهم كانوا قد عرفوا ذلك التابوت وقدر نفعه وما فيه وهو عند موسى، ويوشع، فإن ذلك ما لا يخفى خطؤه؛ وذلك أنه لم يبلغنا أن موسى لاقى عدوا قط بالتابوت، ولا فتاه يوشع، بل الذي يعرف من أمر موسى وأمر فرعون ما قص الله من شأنهما، وكذلك أمره وأمر الجبارين. وأما فتاه يوشع، فإن الذين قالوا هذه المقالة زعموا أن يوشع خلفه في التيه حتى رد عليهم حين ملك طالوت، فإن كان الأمر على ما وصفوه، فأي الأحوال للتابوت الحال التي عرفوه فيها، فجاز أن يقال: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، وعرفتم أمره؟ ففي فساد هذا القول بالذي ذكرنا أبين الدلالة على صحة القول الآخر، إذ لا قول في -[٤٦٧]- ذلك لأهل التأويل غيرهما. وكانت صفة التابوت فيما بلغنا". (١)

٧-"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: " لما جاوزه هو والذين آمنوا معه، قال الذين شربوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [البقرة: ٢٤٩] " وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما روي عن ابن عباس، وقاله السدي؛ وهو أنه جاوز النهر مع طالوت المؤمن الذي لم يشرب من النهر إلا الغرفة، والكافر الذي شرب منه الكثير. ثم وقع التمييز بينهم بعد ذلك برؤية جالوت ولقائه، وانخزل عنه أهل الشرك والنفاق، وهم الذين قالوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [البقرة: ٢٤٩] ومضى أهل البصيرة بأمر الله على بصائرهم، وهم أهل الثبات على الإيمان، فقالوا: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة: ٢٤٩] . فإن ظن ذو غفلة أنه غير جائز أن يكون جاوز النهر مع طالوت إلا أهل الإيمان الذين ثبتوا معه على إيمانهم، ومن لم يشرب من النهر إلا الغرفة؛ لأن الله تعالى ذكره قال: ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ [البقرة: ٢٤٩] فكان معلوما أنه لم يجاوز معه إلا أهل الإيمان، على ما روي به الخبر عن البراء بن عازب، ولأن أهل الكفر لو كانوا جاوزوا النهر كما جاوزه أهل الإيمان لما خص الله بالذكر في ذلك أهل الإيمان؛ فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الفريقان، أعني فريق الإيمان وفريق الكفر جاوزوا النهر، وأخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، عن المؤمنين بالمجاوزة، لأنهم كانوا من الذين جاوزوه مع ملكهم وترك ذكر أهل الكفر، وإن كانوا قد جاوزوا النهر مع المؤمنين.". (٢)

٨-"قوم:

[البحر الطويل]

إذا اتصلت قالت أبكر بن وائل ... وبكر سبتها والأنوف رواغم

يعني بقوله: اتصلت: انتسبت. ولا وجه لهذا التأويل في هذا الموضع ، لأن الانتساب إلى قوم من أهل الموادعة

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤/٤٦٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤/٤٩٢

أو العهد لو كان يوجب للمنتسبين إليهم ما لهم إذا لم يكن لهم من العهد والأمان ما لهم ، لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتل قريشا ، وهم أنسباء السابقين الأولين. ولأهل الإيمان من الحق بإيمانهم أكثر مما لأهل العهد بعهدهم ، وفي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي قريش بتركها الدخول فيما دخل فيه أهل الإيمان منهم ، مع قرب أنسابهم من أنساب المؤمنين منهم ، الدليل الواضح أن انتساب من لا عهد له إلى ذي العهد منهم ، لم يكن موجبا له من العهد ما لذي العهد من انتسابه. فإن ظن ذو غفلة أن قتال النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل من أنسباء المؤمنين من مشركي قريش إنما كان بعد ما نسخ قوله: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ [النساء: ٩٠] فإن أهل التأويل أجمعوا على أن ذلك نسخ قراءة نزلت بعد فتح مكة ودخول قريش في الإسلام". (١)

٩-"حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، وعلى المشركين -[٤١٣]- خالد بن الوليد. قال: فصلينا الظهر ، فقال المشركون: كانوا على حال لو أردنا لأصبنا غرة ، لأصبنا غفلة. فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر ، فأخذ الناس السلاح ، وصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلي القبلة والمشركون مستقبلهم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبروا جميعا ، ثم ركع وركعوا جميعا ، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونهم ، فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء. ثم نكص الصف الذي يليه وتقدم الآخرون فقاموا في مقامهم ، فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم فركعوا جميعا ، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم. فلما فرغ هؤلاء من سجودهم ، سجد هؤلاء الآخرون ، ثم استووا معه ، فقعدوا جميعا ، ثم سلم عليهم جميعا ، فصلاها بعسفان ، وصلاها يوم بني سليم " حدثنا أبو كريب قال: ثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان النحوي ، عن -[٤١٤]- منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي وعن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، ثم ذكر نحوه". (٢)

١٠-"حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وعلى المشركين خالد بن الوليد ، فقال المشركون: لقد أصبنا منهم غرة. ولقد أصبنا منهم غفلة. فأنزل -[٤٤١]- الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٩٤/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤١٢/٧

العصر ، يعني فرقتين: فرقة تصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفرقة تصلي خلفهم يحرسونهم ، ثم كبر فكبروا جميعا وركعوا جميعا ، ثم سجد بالذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فتقدم الآخرون فسجدوا ، ثم قام فركع بهم جميعا ، ثم سجد بالذين يلونه حتى تأخر هؤلاء فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم تقدم الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم؛ فكانت لكلهم ركعتين مع إمامهم. وصلى مرة أخرى في أرض بني سليم " قال أبو جعفر: فتأويل الآية على قول هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، ورووا هذه الرواية: وإذا كنت يا محمد فيهم ، يعني في أصحابك خائفا ، فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك؛ يعني ممن دخل معك في صلاتك ، ﴿فإذا سجدوا﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فإذا سجدت هذه الطائفة بسجودك ، ورفعت رءوسها من سجودها ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليصر من خلفك ، خلف الطائفة التي حرستك وإياهم إذا سجدت بهم وسجدوا معك ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] يعني الطائفة الحارسة التي صلت معه غير أنها لم تسجد بسجوده ، فمعنى قوله: ﴿لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] على مذهب هؤلاء: لم -[٤٤٢]- يسجدوا بسجودك: ﴿فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليسجدوا بسجودك إذا سجدت ، ويحرسك وإياهم الذين سجدوا بسجودك في الركعة الأولى ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ [النساء: ١٠٢] يعني الحارسة. وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك: فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك في صلاتها ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] يعني من خلفك وخلف من يدخل في صلاتك ممن لم يصل معك الركعة الأولى بإزاء العدو بعد فراغها من بقية صلاتها ﴿ولتأت طائفة أخرى﴾ [النساء: ١٠٢] وهي الطائفة التي كانت بإزاء العدو لم يصلوا ، يقول: لم يصلوا معك الركعة الأولى ﴿فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليصلوا معك الركعة التي بقيت عليك ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ [النساء: ١٠٢] لقتال عدوهم بعد ما يفرغون من صلاتهم؛ وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعله يوم ذات الرقاع ، والخبر الذي روى سهل بن أبي حثمة. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز ذكره قال: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ [النساء: ١٠٢] وقد دللنا على أن إقامتها إتمامها بركوعها وسجودها ، ودللنا مع ذلك على أن قوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١] إنما هو إذن بالقصر من ركوعها وسجودها في حال شدة الخوف. -[٤٤٣]- فإذا صح ذلك كان بينا أن لا وجه لتأويل من تأول ذلك أن الطائفة الأولى إذا سجدت مع الإمام فقد انقضت صلاتها ، لقوله: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] لاحتمال ذلك من المعاني ما ذكرت قبل ، ولأنه لا دلالة في الآية على أن القصر الذي ذكر في الآية قبلها عنى به القصر من عدد الركعات. وإذ كان لا وجه لذلك ، فقول من قال: أريد بذلك التقدم والتأخر في الصلاة على نحو صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان أبعد ، وذلك أن الله جل ثناؤه يقول: ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] وكلتا الطائفتين قد كانت صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعته الأولى في صلاته بعسفان ، ومحال أن تكون التي صلت مع

النبي صلى الله عليه وسلم هي التي لم تصل معه. فإن ظن ظان أنه أريد بقوله: ﴿لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] لم يسجدوا ، فإن ذلك غير الظاهر المفهوم من معاني الصلاة ، وإنما توجه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأظهر والأشهر من وجوههما ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية أمر من الله عز ذكره للطائفة الأولى بتأخير قضاء ما بقي عليها من صلاتها إلى فراغ الإمام من بقية صلاته ، ولا على المسلمين الذين بإزاء العدو في اشتغالها بقضاء ذلك ضرر ، لم يكن لأمرها بتأخير ذلك وانصرافها قبل قضاء باقي صلاتها عن موضعها معنى. -[٤٤٤]- غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإنا نرى أن من صلاها من الأئمة فوافقت صلاته بعض الوجوه التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلاها ، فصلاته مجزئة عنه تامة لصحة الأخبار بكل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه من الأمور التي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ثم أباح لهم العمل بأي ذلك شاءوا. وأما قوله: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ [النساء: ١٠٢] فإنه يعني: تمنى الذين كفروا بالله ، لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، يقول: لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم التي تقاتلونهم بها ، وعن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها. ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم جملة واحدة ، فيصيبون منكم غرة بذلك فيقتلونكم ، ويستبيحون عسكركم. يقول جل ثناؤه فلا تفعلوا ذلك بعد هذا ، فتشتغلوا جميعكم بصلاتكم إذا حضرتكم صلاتكم وأنتم مواقفو العدو ، فتمكنوا عدوكم من أنفسكم وأسلحتكم وأمتعتكم ولكن أقيموا الصلاة على ما بينت لكم ، وخذوا من عدوكم حذركم وأسلحتكم". (١)

١١-"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن جريج، قال: بلغني في قوله: ﴿لقضي الأمر﴾ [الأنعام: ٨] قال: ذبح الموت وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] ، فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر، وليس قوله: ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ [الأنعام: ٥٨] من ذلك في شيء، وإنما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما -[٢٨٢]- يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه". (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٤٠/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٨١/٩

١٢-"يقول تعالى ذكره: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] : أي إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره، وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجن يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إلي، من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم. وقد يتجه من التأويل في قوله: (بظلم) وجهان: أحدهما: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] : أي بشرك من أشرك، وكفر من كفر من أهلها، كما قال لقمان: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] . ﴿وأهلها غافلون﴾ [الأنعام: ١٣١] يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير. والآخر: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام للعبيد. وأولى القولين بالصواب عندي القول الأول، أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم والإعذار بينه وبينهم، وذلك أن قوله: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] عقيب قوله: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] إنما هو إنما فعلنا". (١)

١٣-"فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم إذ لم يقبلوها كان مذهبا. يقال من الغفلة، غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا". (٢)

١٤-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ [الأعراف: ١٧٣] يقول تعالى ذكره: شهدنا عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه، أو تقولوا: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ [الأعراف: ١٧٣] اتبعنا منهاجهم ﴿أفتهلكنا﴾ [الأعراف: ١٧٣] بإشراك من أشرك من آبائنا، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق؟ . ويعني بقوله ﴿بما فعل المبطلون﴾ [الأعراف: ١٧٣] بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم إلها غير الله. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين والبصريين: (أن يقولوا) بالياء، بمعنى: شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب. وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: ﴿أن تقولوا﴾ [البقرة: ٢٣٥] بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن اختلفت ألفاظهما؛ لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية،

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٦٣/٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٠٤/١٠

كما قال الله: ﴿لتبيننه للناس﴾ [آل عمران: ١٨٧] وليبيننه، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى". (١)

١٥-"كما حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: " ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [الأعراف: ١٨٧] يقول: يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة "". (٢)

١٦-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول تعالى ذكره: واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن إذا قرئ في صلاة أو خطبة، ﴿ربك في نفسك﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، -[٦٦٨]- وتذكر معادك إليه عند سماعكه. ﴿تضرعا﴾ [الأنعام: ٦٣] يقول: افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له. ﴿وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: وخوفا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده. ﴿ودون الجهر من القول﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار، يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار، ولكن في خفاء من القول". (٣)

١٧-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سويد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] إلى قوله: ﴿بالغدو والآصال﴾ [الأعراف: ٢٠٥] أمر الله بذكره، -[٦٧١]- ونهى عن الغفلة. أما بالغدو: فصلاة الصبح، والآصال: بالعشي "". (٤)

١٨-"حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: " بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه، فلما رآهم إبراهيم أجلهم فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين، فذبحه، ثم شواه في الرضف، فهو الحنيذ حين شواه. وأتاهم فقعد معهم، وقامت سارة تخدمهم، فذلك حين يقول: ﴿وامرأته قائمة﴾ [هود: ٧١] وهو جالس. في قراءة ابن مسعود " فلما قربه إليهم قال: ألا تأكلون " قالوا: يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن قال: فإن لهذا ثمنا. قالوا: وما ثمنه؟ قال: -[٤٧٤]- تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره. فنظر جبرئيل إلى ميكائيل فقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا. ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ [هود: ٧٠] يقول: لا يأكلون، فزع

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠/٥٦٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠/٦١٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠/٦٦٧

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠/٦٧٠

منهم وأوجس منهم خيفة؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم، ضحكت وقالت: عجبا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا " وقال آخرون: بل ضحكت من أن قوم لوط في غفلة، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم ذكر من قال ذلك:". (١)

١٩-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: «لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب، وهم في غفلة، فضحكت من ذلك وعجبت، فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب»". (٢)

٢٠-"حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، أنه قال: «ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب» وقال آخرون: بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط -[٤٧٥]- ذكر من قال ذلك:". (٣)

٢١-"فأضحكت الضباع سيوف سعد ... بقتلى ما دفن ولا ودينا
وقال: يريد الحيض. قال: وبلحرث بن كعب يقولون: ضحكت النخلة: إذا أخرجت الطلع أو البسر. وقالوا: الضحك: الطلع. قال: وسمعنا من يحكي: أضحكت حوضا: أي ملأته حتى فاض. قال: وكأن المعنى قريب بعضه من بعض كله، لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض. وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال: معنى قوله: «فضحكت» : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط. فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك، والتعجب من قولهم لإبراهيم: لا تخف، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط". (٤)

٢٢-"وقوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ [يوسف: ٤٢] وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زل بها، فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته". (٥)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٣/١٢
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٤/١٢
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٤/١٢
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٨/١٢
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٧٢/١٣

٢٣-"نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسهى في هذا ويغفل فيه وينام في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه، والمراد منه: ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ [يوسف: ٤٨] ، يقول: إلا يسيرا مما تحرزونه. والإحصان: التصيير في الحصن، وإنما المراد منه: الإحراز. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك:". (١)

٢٤-"ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، -[١٥٩]- قال: " لما نزلت هذه الآية، يعني: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ [النحل: ١] قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء، فنزلت: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] ، فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضا فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء، فنزلت: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه، ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ "". (٢)

٢٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن -[٥٤٥]- الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (٣)

٢٦-"حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح» قال: " فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم، هذا الموت، فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، ثم يؤمر به فيذبح " قال: " فيقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت " قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده في الدنيا". (٤)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٣/١٩١
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٤/١٥٨
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٥/٥٤٤
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٥/٥٤٥

٢٧-"قال ابن جريج: يحشر أهل النار حين يذبح -[٥٤٧]- الموت والفريقان ينظرون، فذلك قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ [مريم: ٣٩] قال: ذبح الموت ﴿وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩]". (١)

٢٨-"وقوله: ﴿وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم، من تخليده إياهم في جهنم، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] يقول تعالى ذكره: وهم لا -[٥٤٨]- يصدقون بالقيامة والبعث، ومجازاة الله إياهم على سيئ أعمالهم، بما أخبر أنه مجازيهم به.". (٢)

٢٩-"القول في تأويل قوله تعالى ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ، ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها ، في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم ، وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسئلته إياهم ماذا عملوا فيها ، وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه ، والاستعداد له والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء ، وشديد الأهوال وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.". (٣)

٣٠-"ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثني أبو معاوية -[٢٢٢]- قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] قال: «في الدنيا»". (٤)

٣١-"كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لاهية قلوبهم﴾ [الأنبياء: ٣] يقول: «غافلة قلوبهم» وقوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] يقول: وأسر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم ﴿إلا بشر مثلكم﴾ [إبراهيم: ١١] ؟ يقولون: هل هو إلا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٦/١٥
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٧/١٥
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢١/١٦
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢١/١٦

إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال: ﴿الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] ، فوصفهم بالظلم بفعلهم ، وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات ، أنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله ، والتكذيب برسوله. ول (الذين) من قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ [طه: ٦٢] من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ [المائدة: ٧١] . وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا". (١)

٣٢-"حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، وغيره من أهل الكتاب الأول: أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال، وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق. وكانت له البثنية من أرض الشأم، أعلاها وأسفلها ، وسهلها وجبلها. وكان له فيها من أصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة. وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء. وكان برا تقيا رحيما بالمساكين، يطعم المساكين ، ويحمل الأرامل ، ويكفل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل. وكان شاكرا لأنعم الله عليه ، مؤديا لحق الله في الغنى ، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة ، والسهو ، والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا. وكان معه ثلاثة قد آمنوا به ،". (٢)

٣٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقول تعالى ذكره: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق ، كما قال جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (٣)

٣٤-"وقوله: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله ، وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ، ونزل بنا من عظيم البلاء. وفي الكلام متروك ترك

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢٣/١٦
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٣٥١/١٦
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٠٨/١٦

ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وذلك (يقولون) من قوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقولون: ﴿يا ويلنا﴾ [الأنبياء: ١٤]". (١)

٣٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ [النمل: ٥١] يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمسيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿ومكرنا -[٩٣]- مكرا﴾ [النمل: ٥٠] يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ [الأعراف: ٩٥] بمكرنا. وقد بينا فيما مضى معنى: مكر الله بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.". (٢)

٣٦-"ذكر من قال ذلك: حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: "كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى؛ فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] ". -[١٨٤]- وقال آخرون: بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم في دينهم، وعاب ما كانوا عليه.". (٣)

٣٧-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه، قال هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين﴾ [القصص: ١٥] يقول تعالى ذكره: ﴿ودخل﴾ [يوسف: ٣٦] موسى ﴿المدينة﴾ [الأعراف: ١٢٣] مدينة منف من مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] وذلك عند القائلة نصف النهار. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت، فقال بعضهم: دخلها متبعا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد؛ فلما حضر علم بركوبه

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤١٠/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٩٢/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٣/١٨

فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل في هذه المدينة.". (١)

٣٨-"ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] قال: ليس غفلة من ساعة، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره. وقال فرعون لامرأته: أخرجيه عني، حين ضرب رأسه بالعصا، هذا الذي قتلت فيه بنو إسرائيل، فقالت: هو صغير، وهو كذا، هات جمرا، فأتي بجمر، فأخذ جمرة فطرحها في فيه فصارت عقدة في لسانه، فكانت تلك العقدة -[١٨٥]- التي قال الله ﴿واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾ [طه: ٢٨] ، قال: أخرجيه عني، فأخرج، فلم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة من ذكره ". وأولى الأقوال في الصحة بذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ [القصص: ١٤] ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] . واختلفوا في الوقت الذي عني بقوله: ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] فقال بعضهم: ذلك نصف النهار.". (٢)

٣٩-"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: «لما بلغ موسى أشده واستوى، آتاه الله حكما وعلما، فكانت له من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون إليه، فلما استد رأيه، وعرف ما هو عليه من الحق، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه، فتكلم وعادى وأنكر، حتى ذكر منه، وحتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها» . وقال آخرون: بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده. قالوا: ومعنى الكلام: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى؛ أي من بعد نسيانهم خبره وأمره.". (٣)

٤٠-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] قال: دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف -[١٨٦]- النهار "". (٤)

٤١-"ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قوله: " ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٣/١٨
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٤/١٨
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٤/١٨
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٥/١٨

١٥] قال: نصف النهار "". (١)

٤٢-"ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله " ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [القصص: ٥٨] قال: البطر: أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله، وقال: ذلك البطر في النعمة "". (٢)

٤٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا، فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه. والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور، ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحق، ﴿وأجل مسمى﴾ [الأنعام: ٢] يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار، ﴿وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم﴾ [الروم: ٨] جاحدون منكرون، جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.". (٣)

٤٤-"وقوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاف: ٥] يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئا ولا يفهم،". (٤)

٤٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر وبنحو الذي قلنا في

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/١٨٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/٢٩٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/٤٦٤

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/١١٦

ذلك قال أهل التأويل". (١)

٤٦-"وقوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ [ق: ٢٢] يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفوا في المقول ذلك له، فقال بعضهم: المقول ذلك له الكافر وقال آخرون: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجن والإنس". (٢)

٤٧-"ذكر من قال: هو الكافر حدثني علي قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] «وذلك الكافر»". (٣)

٤٨-"ذكر من قال: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ [ق: ٢٢] قال: «هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: " لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد، كنت مع القوم في جاهليتهم ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] " وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الدين الذي بعثه به، فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية، فنفذ بصره بالإيمان وتبينه حتى تقرر ذلك عنده، فصار حاد البصر به". (٤)

٤٩-"وقوله: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم وقد روي عن الضحاك أنه قال: معنى ذلك ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] لسان الميزان، -[٤٣٦]- وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحق في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان". (٥)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٢٩/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٣/٢١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٤/٢١

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٤/٢١

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٥/٢١

٥٠-"حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] قال: «عاين الآخرة»". (١)

٥١-"حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سفيان، ﴿غمرة ساهون﴾ [الذاريات: ١١] قال: «في غفلة»". (٢)

٥٢-"حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾ [الذاريات: ١١] قال: «في غفلة لاهون»". (٣)

٥٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ [القمر: ٢] يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر: ١] دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله ﴿اقتربت﴾ [القمر: ١] افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون". (٤)

٥٤-"حدثنا يحيى بن أبي طالب قال: ثنا داود بن المحبر قال: ثنا الصعق بن حزن قال: ثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اختلف من كان قبلنا على إحدى وسبعين فرقة، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم: فرقة من الثلاث وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم، فقتلتهم الملوك؛ وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، فقتلهم الملوك، ونشرتهم بالمناشير؛ وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين -[٤٣١]- عيسى صلوات الله عليه، فلحقوا بالبراري والجبال، فترهبوا فيها، فهو قول الله عز وجل " ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ [الحديد: ٢٧] قال: «ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله» ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ [الحديد: ٢٧] قال: «ما رعاها الذين من بعدهم حق رعايتها» ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ [الحديد: ٢٧] قال: «وهم الذين آمنوا بي وصدقوني» قال ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد: ١٦] قال: «فهم الذين

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٥/٢١
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٩٤/٢١
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٩٤/٢١
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠٣/٢٢

جحدوني وكذبوني»". (١)

١-"حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثني بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس: " ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] قال: إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها " -[١٦١]- فإن قال قائل: وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته؟ أو جائز وقد أمرهم بطاعته أن لا يعينهم عليها؟ أم هل يقول قائل لربه: إياك نستعين على طاعتك، إلا وهو على قوله ذلك معان، وذلك هو الطاعة، فما وجه مسألة العبد ربه ما قد أعطاه إياه؟ قيل: إن تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه؛ وإنما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه، داع أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته، دون ما قد تقضى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره. وجازت مسألة العبد ربه ذلك لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لأداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه، فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه، ولطف منه لطف له فيه؛ وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق مع اشتغال عبده بمعصيته وانصرافه عن محبته، ولا في بسطه فضله على بعضهم مع إجهاد العبد نفسه في محبته ومسارعته إلى طاعته، فساد في تدبير ولا جور في حكم، فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله، وأمره عبده بمسألته عونه على طاعته. وفي أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة أدل الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر، الذين أحلوا أن يأمر الله أحدا من -[١٦٢]- عباده بأمر أو يكلفه فرض عمل إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه. ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا؛ لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته، إذ كان على قولهم مع وجود الأمر والنهي والتكليف حقا واجبا على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه، سأله عبده ذلك أو ترك مسألة ذلك؛ بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جور. ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا، لكان القائل: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] إنما يسأل ربه أن لا يجور. وفي إجماع أهل الإسلام جميعا على تصويب قول القائل: اللهم إنا نستعينك؛ وتخطئتهم قول القائل: اللهم لا تجر علينا، دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم، إن كان تأويل قول القائل عندهم: اللهم إنا نستعينك، اللهم لا تترك معونتنا التي تركها جور منك. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] فقدم الخبر عن العبادة، وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة، فمسألة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها. قيل: لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه، -[١٦٣]- وكان محالا أن يكون العبد عابدا إلا وهو على العبادة معان، وأن يكون معانا عليها إلا وهو لها فاعل؛ كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه، كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها: قضيت حاجتي

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٠/٢٢

فأحسنت إلي، فقدمت ذكر قضائه حاجتك. أو قلت: أحسنت إلي فقضيت حاجتي، فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة؛ لأنه لا يكون قاضيا حاجتك إلا وهو إليك محسن، ولا محسنا إليك إلا وهو لحاجتك قاض. فكذلك سواء قول القائل: اللهم إنا إياك نعبد فأعنا على عبادتك، وقوله: اللهم أعنا على عبادتك فإنا إياك نعبد. قال أبو جعفر: وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، كما قال امرؤ القيس:

[البحر الطويل]

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

يريد بذلك: كفاني قليل من المال ولم أطلب كثيرا. وذلك من معنى التقديم والتأخير، ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل؛ من أجل أنه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير، فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير. فيكون نظير العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها، وبوجود المعونة عليها وجودها، ويكون ذكر أحدهما دالا على الآخر، فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعا في درجته ومرتبا في مرتبته. فإن قال: فما وجه تكراره: ﴿إياك﴾ [الفاتحة: ٥] مع قوله: ﴿نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] وقد تقدم ذلك قبل نعبد؟ وهلا قيل: إياك نعبد ونستعين، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان؟ -[١٦٤]- قيل له: إن الكاف التي مع إيا، هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل، أعني بقوله: ﴿نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] لو كانت مؤخرة بعد الفعل. وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل، فكثرت بإيا متقدمة، إذ كان الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد، فلما كانت الكاف من إياك هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافا وحدها متصلة بالفعل إذا كانت بعد الفعل، ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به، فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك؛ وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد؛ كان كذلك إذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بإيا، كان الأفصح إعادتها مع كل فعل. كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل، إذا كانت بعد الفعل متصلة به، وإن كان ترك إعادتها جائزا. وقد ظن بعض من لم يمعن النظر أن إعادة إياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] بمعنى قول عدي بن زيد العبادي:

[البحر البسيط]

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا

-[١٦٥]- وكقول أعشى همدان:

[البحر الكامل]

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخ بخ لوالده وللمولود

وذلك جهل من قائله؛ من أجل أن حظ إياك أن تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا آنفا من العلة، وليس ذلك

حكم بين لأنها لا تكون إذا اقتضت اثنين إلا تكريرا إذا أعيدت، إذ كانت لا تنفرد بالواحد. وأنها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل؛ وذلك أن قائلا لو قال: الشمس قد فصلت بين النهار، لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه بين. ولو قال قائل: اللهم إياك نعبد لكان ذلك كلاما تاما. فكان معلوما بذلك أن حاجة كل كلمة كانت نظيرة ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] إلى إياك كحاجة نعبد إليها، وأن الصواب أن تكرر معها إياك، إذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ، وبينا حكم مخالفة ذلك حكم بين فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله". (١)

٢-"ونصب الهاء، غير أنه كان يرفعه بالياء التي يحدثها في أول تشابه التي تأتي بمعنى الاستقبال، وتدغم التاء في الشين كما فعله القارئ في تشابه بالتاء والتشديد. والصواب في ذلك من القراءة عندنا: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ [البقرة: ٧٠] بتخفيف شين تشابه ونصب هائه، بمعنى تفاعل. لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك ورفعهم ما سواه من القراءات، ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ". (٢)

٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة: ٧٤]-[١٣٩]- يعني بقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة: ٧٤] وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود، عما تعملون من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة؛ ولكنه يحصيها عليكم، فيجازيكم بها في الآخرة أو يعاقبكم بها في الدنيا. وأصل الغفلة عن الشيء: تركه على وجه السهو عنه والنسيان له، فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة ولا ساه عنها، بل هو لها محص، ولها حافظ". (٣)

٤-"فيه، كما هدى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه بغيا بينهم، فسددهم لإصابة الحق، والصواب فيه. وفي هذه الآية البيان الواضح على صحة ما قاله أهل الحق من أن كل نعمة على العباد في دينهم أو دنياهم، فمن الله عز وجل. فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] أهداهم للحق أم هداهم للاختلاف؟ فإن كان هداهم للاختلاف فإنما " أضلهم، وإن كان هداهم للحق فيكف قيل: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] ؟ قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما معنى ذلك: فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٦٠/١
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠٥/٢
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٣٨/٢

من كتاب الله الذين أوتوه، فكفر بتبديله بعضهم، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم، وهم أهل التوراة الذين بدلوها، فهدى الله للحق مما بدلوا وحرفوا الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال أبو جعفر: فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة، فقال وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و «من» إنما هي في كتاب الله في «الحق» واللام في قوله: ﴿لما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] وأنت تحول اللام في «الحق» ، و «من» في الاختلاف في التأويل الذي تتأوله فتجعله مقلوبا؟ قيل: ذلك في كلام العرب موجود مستفيض، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم، فمن ذلك قول الشاعر:

[البحر الكامل]". (١)

٥-"كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ﴿فإن أرادا فصالا عن تراض، منهما وتشاور﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال: غير مسيئين في ظلم أنفسهما ولا إلى صبيهما ﴿فلا جناح عليهما﴾ [البقرة: ٢٢٩] " حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله وأولى التأويلين بالصواب، تأويل من قال: فإن أرادا فصالا في الحولين عن تراض منهما وتشاور، لأن تمام الحولين غاية لتمام الرضاع وانقضائه، ولا تشاور بعد انقضائه؛ وإنما التشاور والتراضي قبل انقضاء نهايته، فإن ظن ذو غفلة أن للتشاور بعد انقضاء الحولين معنى صحيحا، إذ كان من الصبيان من تكون به علة يحتاج من أجلها إلى تركه، والاغتذاء بلبن أمه، فإن ذلك -[٢٤٠]- إذا كان كذلك، فإنما هو علاج كالعلاج بشرب بعض الأدوية لا رضاع، فأما الرضاع الذي يكون في الفصال منه قبل انقضاء آخره تراض وتشاور من والدي الطفل الذي أسقط الله تعالى ذكره لفطمهما إياه الجناح عنهما قبل انقضاء آخر مدته، فإنما الحد الذي حده الله تعالى ذكره بقوله: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣] على ما قد أتينا على البيان عنه فيما مضى قبل، وأما الجناح: فالحرج". (٢)

٦-"حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، -[٤٦٦]- في قوله: " ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ [البقرة: ٢٤٨] الآية، قال: كان موسى فيما ذكر لنا ترك التابوت عند فتاه يوشع بن نون وهو في البرية، فذكر لنا أن الملائكة حملته من البرية حتى وضعته في دار طالوت، فأصبح التابوت في داره " وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما قاله ابن عباس ووهب بن منبه من أن التابوت كان عند عدو لبني إسرائيل كان سلبهموه، وذلك أن الله تعالى ذكره قال مخبرا عن نبيه في ذلك الزمان قوله لقومه من بني إسرائيل: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ [البقرة: ٢٤٨] والألف واللام لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٦٣٤/٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٣٩/٤

إلا في معروف عند المتخاطبين به، وقد عرفه المخبر والمخبر. فقد علم بذلك أن معنى الكلام: أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينة من ربكم. ولو كان ذلك تابوتا من التوابيت غير معلوم عندهم قدره ومبلغ نفعه قبل ذلك لقيل: إن آية ملكه أن يأتيكم تابوت فيه سكينة من ربكم " فإن ظن ذو غفلة أنهم كانوا قد عرفوا ذلك التابوت وقدر نفعه وما فيه وهو عند موسى، ويوشع، فإن ذلك ما لا يخفى خطؤه؛ وذلك أنه لم يبلغنا أن موسى لاقى عدوا قط بالتابوت، ولا فتاه يوشع، بل الذي يعرف من أمر موسى وأمر فرعون ما قص الله من شأنهما، وكذلك أمره وأمر الجبارين. وأما فتاه يوشع، فإن الذين قالوا هذه المقالة زعموا أن يوشع خلفه في التيه حتى رد عليهم حين ملك طالوت، فإن كان الأمر على ما وصفوه، فأي الأحوال للتابوت الحال التي عرفوه فيها، فجاز أن يقال: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، وعرفتم أمره؟ ففي فساد هذا القول بالذي ذكرنا أبين الدلالة على صحة القول الآخر، إذ لا قول في -[٤٦٧]- ذلك لأهل التأويل غيرهما. وكانت صفة التابوت فيما بلغنا". (١)

٧-"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: " لما جاوزه هو والذين آمنوا معه، قال الذين شربوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [البقرة: ٢٤٩] " وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما روي عن ابن عباس، وقاله السدي؛ وهو أنه جاوز النهر مع طالوت المؤمن الذي لم يشرب من النهر إلا الغرفة، والكافر الذي شرب منه الكثير. ثم وقع التمييز بينهم بعد ذلك برؤية جالوت ولقائه، وانخزل عنه أهل الشرك والنفاق، وهم الذين قالوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [البقرة: ٢٤٩] ومضى أهل البصيرة بأمر الله على بصائرهم، وهم أهل الثبات على الإيمان، فقالوا: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة: ٢٤٩] . فإن ظن ذو غفلة أنه غير جائز أن يكون جاوز النهر مع طالوت إلا أهل الإيمان الذين ثبتوا معه على إيمانهم، ومن لم يشرب من النهر إلا الغرفة؛ لأن الله تعالى ذكره قال: ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ [البقرة: ٢٤٩] فكان معلوما أنه لم يجاوز معه إلا أهل الإيمان، على ما روي به الخبر عن البراء بن عازب، ولأن أهل الكفر لو كانوا جاوزوا النهر كما جاوزه أهل الإيمان لما خص الله بالذكر في ذلك أهل الإيمان؛ فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الفريقان، أعني فريق الإيمان وفريق الكفر جاوزوا النهر، وأخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، عن المؤمنين بالمجاوزة، لأنهم كانوا من الذين جاوزوه مع ملكهم وترك ذكر أهل الكفر، وإن كانوا قد جاوزوا النهر مع المؤمنين.". (٢)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤/٤٦٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤/٤٩٢

٨-"قوم:

[البحر الطويل]

إذا اتصلت قالت أبكر بن وائل ... وبكر سبتها والأنوف رواغم

يعني بقوله: اتصلت: انتسبت. ولا وجه لهذا التأويل في هذا الموضع ، لأن الانتساب إلى قوم من أهل الموادعة أو العهد لو كان يوجب للمنتسبين إليهم ما لهم إذا لم يكن لهم من العهد والأمان ما لهم ، لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتل قريشا ، وهم أنسباء السابقين الأولين. ولأهل الإيمان من الحق بإيمانهم أكثر مما لأهل العهد بعهدهم ، وفي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي قريش بتركها الدخول فيما دخل فيه أهل الإيمان منهم ، مع قرب أنسابهم من أنساب المؤمنين منهم ، الدليل الواضح أن انتساب من لا عهد له إلى ذي العهد منهم ، لم يكن موجبا له من العهد ما لذي العهد من انتسابه. فإن ظن ذو غفلة أن قتال النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل من أنسباء المؤمنين من مشركي قريش إنما كان بعد ما نسخ قوله: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ [النساء: ٩٠] فإن أهل التأويل أجمعوا على أن ذلك نسخ قراءة نزلت بعد فتح مكة ودخول قريش في الإسلام". (١)

٩-"حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، وعلى المشركين -[٤١٣]- خالد بن الوليد. قال: فصلينا الظهر ، فقال المشركون: كانوا على حال لو أردنا لأصبنا غرة ، لأصبنا غفلة. فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر ، فأخذ الناس السلاح ، وصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلي القبلة والمشركون مستقبلهم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبروا جميعا ، ثم ركع وركعوا جميعا ، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونهم ، فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء. ثم نكص الصف الذي يليه وتقدم الآخرون فقاموا في مقامهم ، فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم فركعوا جميعا ، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم. فلما فرغ هؤلاء من سجودهم ، سجد هؤلاء الآخرون ، ثم استووا معه ، فقعدوا جميعا ، ثم سلم عليهم جميعا ، فصلاها بعسفان ، وصلاها يوم بني سليم " حدثنا أبو كريب قال: ثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان النحوي ، عن -[٤١٤]- منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي وعن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، ثم ذكر نحوه". (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٩٤/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤١٢/٧

١٠-"حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وعلى المشركين خالد بن الوليد ، فقال المشركون: لقد أصبنا منهم غرة. ولقد أصبنا منهم غفلة. فأنزل -[٤٤١]- الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ، يعني فرقتين: فرقة تصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفرقة تصلي خلفهم يحرسونهم ، ثم كبر فكبروا جميعا وركعوا جميعا ، ثم سجد بالذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فتقدم الآخرون فسجدوا ، ثم قام فركع بهم جميعا ، ثم سجد بالذين يلونه حتى تأخر هؤلاء فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم تقدم الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم؛ فكانت لكلهم ركعتين مع إمامهم. وصلى مرة أخرى في أرض بني سليم " قال أبو جعفر: فتأويل الآية على قول هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، ورووا هذه الرواية: وإذا كنت يا محمد فيهم ، يعني في أصحابك خائفا ، فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك؛ يعني ممن دخل معك في صلاتك ، ﴿فإذا سجدوا﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فإذا سجدت هذه الطائفة بسجودك ، ورفعت رءوسها من سجودها ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليصر من خلفك ، خلف الطائفة التي حرستك وإياهم إذا سجدت بهم وسجدوا معك ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] يعني الطائفة الحارسة التي صلت معه غير أنها لم تسجد بسجوده ، فمعنى قوله: ﴿لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] على مذهب هؤلاء: لم -[٤٤٢]- يسجدوا بسجودك: ﴿فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليسجدوا بسجودك إذا سجدت ، ويحرسك وإياهم الذين سجدوا بسجودك في الركعة الأولى ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ [النساء: ١٠٢] يعني الحارسة. وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك: فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك في صلاتها ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] يعني من خلفك وخلف من يدخل في صلاتك ممن لم يصل معك الركعة الأولى بإزاء العدو بعد فراغها من بقية صلاتها ﴿ولتأت طائفة أخرى﴾ [النساء: ١٠٢] وهي الطائفة التي كانت بإزاء العدو لم يصلوا ، يقول: لم يصلوا معك الركعة الأولى ﴿فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فليصلوا معك الركعة التي بقيت عليك ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ [النساء: ١٠٢] لقتال عدوهم بعد ما يفرغون من صلاتهم؛ وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعله يوم ذات الرقاع ، والخبر الذي روى سهل بن أبي حثمة. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز ذكره قال: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ [النساء: ١٠٢] وقد دللنا على أن إقامتها إتمامها بركوعها وسجودها ، ودللنا مع ذلك على أن قوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١] إنما هو إذن بالقصر من ركوعها وسجودها في حال شدة الخوف. -[٤٤٣]- فإذا صح ذلك كان بينا أن لا وجه لتأويل من تأول ذلك أن الطائفة الأولى إذا سجدت مع الإمام فقد انقضت صلاتها ، لقوله: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] لاحتمال ذلك من المعاني ما ذكرت قبل ، ولأنه لا دلالة في

الآية على أن القصر الذي ذكر في الآية قبلها عنى به القصر من عدد الركعات. وإذ كان لا وجه لذلك ، فقول من قال: أريد بذلك التقدم والتأخر في الصلاة على نحو صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان أبعد ، وذلك أن الله جل ثناؤه يقول: ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ [النساء: ١٠٢] وكلتا الطائفتين قد كانت صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعته الأولى في صلاته بعسفان ، ومحال أن تكون التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم هي التي لم تصل معه. فإن ظن ظان أنه أريد بقوله: ﴿لم يصلوا﴾ [النساء: ١٠٢] لم يسجدوا ، فإن ذلك غير الظاهر المفهوم من معاني الصلاة ، وإنما توجه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأظهر والأشهر من وجوهها ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية أمر من الله عز ذكره للطائفة الأولى بتأخير قضاء ما بقي عليها من صلاتها إلى فراغ الإمام من بقية صلاته ، ولا على المسلمين الذين بإزاء العدو في اشتغالها بقضاء ذلك ضرر ، لم يكن لأمرها بتأخير ذلك وانصرافها قبل قضاء باقي صلاتها عن موضعها معنى. -[٤٤٤]- غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإنا نرى أن من صلاها من الأئمة فوافقت صلاته بعض الوجوه التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلاها ، فصلاته مجزئة عنه تامة لصحة الأخبار بكل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه من الأمور التي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ثم أباح لهم العمل بأي ذلك شاءوا. وأما قوله: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ [النساء: ١٠٢] فإنه يعني: تمنى الذين كفروا بالله ، لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، يقول: لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم التي تقاتلونهم بها ، وعن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها. ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ [النساء: ١٠٢] يقول: " فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم جملة واحدة ، فيصيبون منكم غرة بذلك فيقتلونكم ، ويستبيحون عسكركم. يقول جل ثناؤه فلا تفعلوا ذلك بعد هذا ، فتشتغلوا جميعكم بصلاتكم إذا حضرتكم صلاتكم وأنتم مواقفو العدو ، فتمكنوا عدوكم من أنفسكم وأسلحتكم وأمتعتكم ولكن أقيموا الصلاة على ما بينت لكم ، وخذوا من عدوكم حذركم وأسلحتكم". (١)

١١-"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن جريج، قال: بلغني في قوله: ﴿لقضي الأمر﴾ [الأنعام: ٨] قال: ذبح الموت وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] ، فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر، وليس قوله: ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ [الأنعام: ٥٨] من ذلك في شيء، وإنما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٤٠/٧

بما -[٢٨٢]- يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه". (١)

١٢-"يقول تعالى ذكره: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] : أي إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره، وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجن يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إلي، من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم. وقد يتجه من التأويل في قوله: (بظلم) وجهان: أحدهما: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] : أي بشرك من أشرك، وكفر من كفر من أهلها، كما قال لقمان: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] . ﴿وأهلها غافلون﴾ [الأنعام: ١٣١] يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير. والآخر: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام للعبيد. وأولى القولين بالصواب عندي القول الأول، أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم والإعذار بينه وبينهم، وذلك أن قوله: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] عقيب قوله: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ [الأنعام: ١٣١] إنما هو إنما فعلنا". (٢)

١٣-"فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم إذ لم يقبلوها كان مذهبا. يقال من الغفلة، غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا". (٣)

١٤-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ [الأعراف: ١٧٣] يقول تعالى ذكره: شهدنا عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه، أو تقولوا: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ [الأعراف: ١٧٣] اتبعنا منهاجهم ﴿أفتهلكنا﴾ [الأعراف: ١٧٣] بإشراك من أشرك من آبائنا، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق؟ . ويعني بقوله ﴿بما فعل المبطلون﴾ [الأعراف: ١٧٣] بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم إلها غير الله. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين والبصريين: (أن يقولوا) بالياء، بمعنى: شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب. وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة:

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٨١/٩
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٦٣/٩
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٠٤/١٠

﴿أن تقولوا﴾ [البقرة: ٢٣٥] بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن اختلفت ألفاظهما؛ لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية، كما قال الله: ﴿لتبيننه للناس﴾ [آل عمران: ١٨٧] وليبيننه، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى". (١)

١٥-"كما حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: " ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [الأعراف: ١٨٧] يقول: يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة "". (٢)

١٦-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول تعالى ذكره: واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن إذا قرئ في صلاة أو خطبة، ﴿ربك في نفسك﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، -[٦٦٨]- وتذكر معادك إليه عند سماعكه. ﴿تضرعا﴾ [الأنعام: ٦٣] يقول: افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له. ﴿وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: وخوفا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده. ﴿ودون الجهر من القول﴾ [الأعراف: ٢٠٥] يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار، يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار، ولكن في خفاء من القول". (٣)

١٧-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سويد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] إلى قوله: ﴿بالغدو والآصال﴾ [الأعراف: ٢٠٥] أمر الله بذكره، -[٦٧١]- ونهى عن الغفلة. أما بالغدو: فصلاة الصبح، والآصال: بالعشي "". (٤)

١٨-"حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: " بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه، فلما رآهم إبراهيم أجلهم فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين، فذبحه، ثم شواه في الرضف، فهو الحنيذ حين شواه. وأتاهم فقعد معهم، وقامت سارة تخدمهم، فذلك حين يقول: ﴿وامرأته قائمة﴾ [هود: ٧١] وهو جالس. في قراءة ابن مسعود " فلما قربه إليهم قال: ألا تأكلون " قالوا: يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن قال: فإن لهذا ثمنا.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٦٥/١٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٦١٠/١٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٦٦٧/١٠

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٦٧٠/١٠

قالوا: وما ثمنه؟ قال: -[٤٧٤]- تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره. فنظر جبرئيل إلى ميكائيل فقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا. ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ [هود: ٧٠] يقول: لا يأكلون، فزع منهم وأوجس منهم خيفة؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم، ضحكت وقالت: عجبا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا " وقال آخرون: بل ضحكت من أن قوم لوط في غفلة، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم ذكر من قال ذلك:". (١)

١٩-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: «لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب، وهم في غفلة، فضحكت من ذلك وعجبت، فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب»". (٢)

٢٠-"حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، أنه قال: «ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب» وقال آخرون: بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط -[٤٧٥]- ذكر من قال ذلك:". (٣)

٢١-"فأضحكت الضباع سيوف سعد ... بقتلى ما دفن ولا ودينا

وقال: يريد الحيض. قال: وبلحرث بن كعب يقولون: ضحكت النخلة: إذا أخرجت الطلع أو البسر. وقالوا: الضحك: الطلع. قال: وسمعنا من يحكي: أضحكت حوضا: أي ملأته حتى فاض. قال: وكأن المعنى قريب بعضه من بعض كله، لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض. وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال: معنى قوله: «فضحكت» : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط. فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك، والتعجب من قولهم لإبراهيم: لا تخف، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط". (٤)

٢٢-"وقوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ [يوسف: ٤٢] وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زل بها،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٣/١٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٤/١٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٤/١٢

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٧٨/١٢

فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته". (١)

٢٣-"نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسهى في هذا ويغفل فيه وينام في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه، والمراد منه: ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ [يوسف: ٤٨] ، يقول: إلا يسيرا مما تحرزونه. والإحصان: التصيير في الحصن، وإنما المراد منه: الإحراز. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك:". (٢)

٢٤-"ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، -[١٥٩]- قال: " لما نزلت هذه الآية، يعني: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ [النحل: ١] قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء، فنزلت: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] ، فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضا فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء، فنزلت: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه، ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ "". (٣)

٢٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن -[٥٤٥]- الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (٤)

٢٦-"حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح» قال: " فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم، هذا الموت، فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، ثم يؤمر به فيذبح " قال: " فيقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت " قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وأنذرهم يوم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٧٢/١٣
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٩١/١٣
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٥٨/١٤
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٤/١٥

الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده في الدنيا". [(١)]

٢٧-"قال ابن جريج: يحشر أهل النار حين يذبح -[٥٤٧]- الموت والفريقان ينظرون، فذلك قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ [مريم: ٣٩] قال: ذبح الموت ﴿وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩]". [(٢)]

٢٨-"وقوله: ﴿وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم، من تخليده إياهم في جهنم، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] يقول تعالى ذكره: وهم لا -[٥٤٨]- يصدقون بالقيامة والبعث، ومجازاة الله إياهم على سيئ أعمالهم، بما أخبر أنه مجازيهم به.". [(٣)]

٢٩-"القول في تأويل قوله تعالى ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ، ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها ، في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم ، وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسئلته إياهم ماذا عملوا فيها ، وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه ، والاستعداد له والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء ، وشديد الأهوال وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". [(٤)]

٣٠-"ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثني أبو معاوية -[٢٢٢]- قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء: ١] قال: «في الدنيا»". [(٥)]

٣١-"كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لاهية قلوبهم﴾ [الأنبياء: ٣] يقول: «غافلة قلوبهم» وقوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] يقول: وأسر هؤلاء الناس الذين

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٥/١٥
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٦/١٥
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٥٤٧/١٥
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢١/١٦
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢١/١٦

اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم ﴿إلا بشر مثلكم﴾ [إبراهيم: ١١] ؟ يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال: ﴿الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] ، فوصفهم بالظلم بفعلهم ، وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات ، أنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله ، والتكذيب برسوله. ول (الذين) من قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ [طه: ٦٢] من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ [المائدة: ٧١] . وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا". (١)

٣٢-"حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، وغيره من أهل الكتاب الأول: أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال، وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق. وكانت له البثنية من أرض الشأم، أعلاها وأسفلها ، وسهلها وجبلها. وكان له فيها من أصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة. وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء. وكان برا تقيا رحيما بالمساكين، يطعم المساكين ، ويحمل الأرامل ، ويكفل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل. وكان شاكرا لأنعم الله عليه ، مؤديا لحق الله في الغنى ، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة ، والسهو ، والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا. وكان معه ثلاثة قد آمنوا به ،". (٢)

٣٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقول تعالى ذكره: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق ، كما قال جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢٣/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٣٥١/١٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٠٨/١٦

٣٤-"وقوله: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله ، وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ، ونزل بنا من عظيم البلاء. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وذلك (يقولون) من قوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [الأنبياء: ٩٧] يقولون: ﴿يا ويلنا﴾ [الأنبياء: ١٤]". (١)

٣٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ [النمل: ٥١] يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمسيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿ومكرنا -[٩٣]- مكرا﴾ [النمل: ٥٠] يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ [الأعراف: ٩٥] بمكرنا. وقد بينا فيما مضى معنى: مكر الله بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.". (٢)

٣٦-"ذكر من قال ذلك: حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: "كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى؛ فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] ". -[١٨٤]- وقال آخرون: بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم في دينهم، وعاب ما كانوا عليه.". (٣)

٣٧-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه، قال هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين﴾ [القصص: ١٥] يقول تعالى ذكره: ﴿ودخل﴾ [يوسف: ٣٦] موسى ﴿المدينة﴾ [الأعراف: ١٢٣] مدينة منف من مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] وذلك عند القائلة نصف النهار. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤١٠/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٩٢/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٣/١٨

الوقت، فقال بعضهم: دخلها متبعا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد؛ فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل في هذه المدينة.". (١)

٣٨-"ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] قال: ليس غفلة من ساعة، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره. وقال فرعون لامرأته: أخرجيه عني، حين ضرب رأسه بالعصا، هذا الذي قتلت فيه بنو إسرائيل، فقالت: هو صغير، وهو كذا، هات جمرا، فأتي بجمر، فأخذ جمرة فطرحها في فيه فصارت عقدة في لسانه، فكانت تلك العقدة -[١٨٥]- التي قال الله ﴿واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾ [طه: ٢٨] ، قال: أخرجيه عني، فأخرج، فلم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة من ذكره ". وأولى الأقوال في الصحة بذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ [القصص: ١٤] ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] . واختلفوا في الوقت الذي عني بقوله: ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] فقال بعضهم: ذلك نصف النهار.". (٢)

٣٩-"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: «لما بلغ موسى أشده واستوى، آتاه الله حكما وعلما، فكانت له من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون إليه، فلما استد رأيه، وعرف ما هو عليه من الحق، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه، فتكلم وعادى وأنكر، حتى ذكر منه، وحتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها» . وقال آخرون: بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده. قالوا: ومعنى الكلام: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى؛ أي من بعد نسيانهم خبره وأمره.". (٣)

٤٠-"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] قال: دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف -[١٨٦]- النهار "". (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٣/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٤/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٤/١٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨٥/١٨

٤١-"ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قوله: " ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص: ١٥] قال: نصف النهار "". (١)

٤٢-"ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله " ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [القصص: ٥٨] قال: البطر: أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله، وقال: ذلك البطر في النعمة "". (٢)

٤٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا، فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه. والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور، ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحق، ﴿وأجل مسمى﴾ [الأنعام: ٢] يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار، ﴿وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم﴾ [الروم: ٨] جاحدون منكرون، جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.". (٣)

٤٤-"وقوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاف: ٥] يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئا ولا يفهم،". (٤)

٤٥-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/١٨٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/٢٩٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٨/٤٦٤

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/١١٦

ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (١)

٤٦-"وقوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ [ق: ٢٢] يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفوا في المقول ذلك له، فقال بعضهم: المقول ذلك له الكافر وقال آخرون: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجن والإنس". (٢)

٤٧-"ذكر من قال: هو الكافر حدثني علي قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] «وذلك الكافر»". (٣)

٤٨-"ذكر من قال: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ [ق: ٢٢] قال: «هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: " لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد، كنت مع القوم في جاهليتهم ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] " وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الدين الذي بعثه به، فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية، فنفذ بصره بالإيمان وتبينه حتى تقرر ذلك عنده، فصار حاد البصر به". (٤)

٤٩-"وقوله: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم وقد روي عن الضحاك أنه قال: معنى ذلك ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] لسان الميزان، -[٤٣٦]- وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحق في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافى القيامة بما

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/٤٢٩
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/٤٣٣
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/٤٣٤
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢١/٤٣٤

اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان". [1]

٥٠-"حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] قال: «عاين الآخرة»". [2]

٥١-"حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سفيان، ﴿غمرة ساهون﴾ [الذاريات: ١١] قال: «في غفلة»". [3]

٥٢-"حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾ [الذاريات: ١١] قال: «في غفلة لاهون»". [4]

٥٣-"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ [القمر: ٢] يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر: ١] دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله ﴿اقتربت﴾ [القمر: ١] افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون". [5]

٥٤-"حدثنا يحيى بن أبي طالب قال: ثنا داود بن المحبر قال: ثنا الصعق بن حزن قال: ثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اختلف من كان قبلنا على إحدى وسبعين فرقة، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم: فرقة من الثلاث وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم، فقتلتهم الملوك؛ وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، فقتلهم الملوك، ونشرتهم بالمناشير؛ وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين -[٤٣١]- عيسى صلوات الله عليه، فلحقوا بالبراري والجبال، فترهبوا فيها، فهو قول الله عز وجل " ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ [الحديد: ٢٧] قال: «ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله» ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ [الحديد: ٢٧] قال: «ما رعاها الذين من بعدهم حق رعايتها» ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ [الحديد:

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٥/٢١
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٣٥/٢١
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٩٤/٢١
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٤٩٤/٢١
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٠٣/٢٢

٢٧] قال: «وهم الذين آمنوا بي وصدقوني» قال ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد: ١٦] قال: «فهم الذين جحدوني وكذبوني»". (١)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ٢٢/٤٣٠